مفهوم السُّنة عند بديع الزمان سعيد النورسي

نجم الدين شكر (*)

الملخص

لقد أولي بديع الزمان سعيد النورسي أهمية خاصة للسُّنّة النبوية في كافة مؤلفاته وأكدّ في أكثر من موضع بها علي أن غايته هي إحياء السنة والمحافظة عليها. فالسنة النبوية، وفق ما يؤمن به النورسي، مثل بوصلة القبلة التي تهدي وتوجّه الحياة الفردية والاجتماعية للإنسان المسلم، بحيث وصف النورسي السنة المطهرة بمرشد الحياة وهو يقف علي مفهومها وأهميتها بشكل أكبر من جانبها الفني (الأصول). ولعل استشهاده بالعديد من الأحاديث والتوجيهات النبوية يبرهن بشكل قاطع علي غنى ثقافة الحديث الشريف لدي هذا العالم الجليل. ومن الموضوعات الهامة التي يجب الوقوف عليها عند الحديث عن السنة النبوية علاقتها بالإيمان والعبادات ووظيفتها في استمرار الحياة المستقيمة وكونها آمن طريق للنجاة في أصعب الظروف وأكثرها ظلمة. فسعيد النورسي يرجع إلي السنة النبوية بصفتها أكثر الطرق ملاءمة للعقل والقلب والروح في مواجهة البدع والضلالات. ولقد ربط النورسي بين إتباع السنة المحمدية والإيمان وحب الله جل جلاله، ويشير إلي أن إنكار السنة أو الإعراض عنها بمثابة خسارة وأن إهمالها يعتبر سببًا مؤديًا للحرمان من ثواب إتباعها وشفاعة النبي (صلى الله عليه وسلم) يوم القيامة. وتتناول هذه المقالة وجهات نظر سعيد النورسي فيما يتعلق بالسنة النبوية المشرفة.

كلمات البحث:
السنة النبوية، الحياة، المصدر، المفهوم

* عضو هيئة تدريس بكلية الإلهيات بجامعة إغدير التركية

SAİD NURSÎ AND THE CONCEPT OF CIRCUMCISION

Abstract

Said Nursi, the first treatise ected Sunnah in all his works to give special attention to circumcision. He often emphasizes that his aim is to maintain and revive the sunnah. According to him; circumcision, is like a compass guiding individual and social life of Muslims, the Qibla namel. He described circumcision as a guide in life and emphasizes in terms of meaning the importance of. Collection, rather than technical (procedural) dimension. His usage of a large number of hadith and sunnah material, show the richness of the culture of his hadith. Relationship between circumcision byfaith and worship, a trending function later in life, and being the safest way of salvation in the most difficult and troubled times, are a few of his stand on important issues. Said Nursi, against departures and heresy, shows circumcision as reference in the way of salvation the mind, heart and soul. Establishing the relevance of circumcision by faith, and Muhabbetullah Nursi I casually mentioned that the reason of staying in the meritorious and deprivation brings prophetic intercession and simplying and denying him or her face and the loss of the translator would be a big disappointment،

Key Words:
Circumcision, life, the source, meanning

المقدمة

لقد تطور منذ القدم وحتى يومنا هذا العديد من المفاهيم والأساليب في العالم الإسلامي فيما يخص فهم السنة النبوية وتحليلها. فكما أن أشكال الفهم والتفسير المتعددة للسنة، التي نشأت بحسب اختلاف المذاهب وفروع العلم والأزمنة والظروف والمجتمعات، تبرهن علي ثراء السنة من حيث المعني والمضمون؛ فإن هذه الحالة قد تمخض عنها أن تكون السنة النبوية قادرة علي المعايشة بشكل حيوي وديناميكي منذ مهد الإسلام وحتى اليوم وأنه يمكن تفسيرها مرة أخرى وفق الظروف الحياتية المتطورة. ومن ناحية أخري فقد أسهمت العديد من خصائص السنة في كثرة الحديث عنها وتناولها بشكل كبير مثل عالميتها وكونها عنصرًا متوازنًا بعيدًا عن الإفراط والتفريط وتمتع الكلمة ذاتها بخصائص الاستمرارية والانتظام من الناحية اللغوية والاصطلاحية واتخاذها لمبادئ السهولة واليسر كمبادئ رئيسية لها.

لقد تناول معظم المفكرين المسلمين السنة النبوية بجوانبها المختلفة. ويعتبر سعيد النورسي واحدًا من هؤلاء المفكرين. وتحتوي مؤلفات النورسي علي الكثير من المعلومات حول سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وسنته الشريفة. ونحن من جانبنا سنقوم خلال هذه المقالة بالحديث عن وجهات نظره الخاصة بالسنة النبوية في أعماله ومؤلفاته وعلي رأسها رسالة السنة السنية.

ونري فائدة في إيراد نبذة مبسطة عن حياة سعيد النورسي وتعاليمه ومؤلفاته، وذلك قبل الدخول في موضوع المقالة الأساسي.

لقد عاصر النورسي ربع القرن الأخير من الإمبراطورية العثمانية والخمسين عامًا الأولي من عصر الجمهورية التركية، وألف ما يربو علي ستة آلاف صحيفة تتناول إصلاح المجتمع وتُرجمت أعماله ومؤلفاته إلي العديد من لغات العالم. وُلد سعيد النورسي عام 1871 في قرية نورس التابعة لناحية إيسباريت بقضاء حيزان بمدينة بيتليس جنوب شرق تركيا، وأتمّ تعليمه الأولي في المدارس الدينية في سن صغيرة وحاز الإجازة. شارك في الحرب العالمية الأولي كقائد للواء متطوع وحارب في الجبهة الشرقية ضد الروس والأرمن وأصيب جراء الحرب وسقط أسيرًا. (النورسي، 2011، صفحة: 104) عاد إلي اسطنبول بعد أن خرج من الأسر ومكث بها لفترة قصيرة. حاز علي عضوية المشيخة الإسلامية التي توازي اليوم المجلس الأعلى للشؤون الدينية لفترة قصيرة، وقام بتسجيل بعض المشكلات التي يعاني منها العالم الإسلامي. (النورسي، 2011، صفحة: 51 – 76) ثم بعد ذلك ابتعد عن الحياة السياسية والعروض التي قُدمت إليه خلال تلك الفترة وعاد مجددًا إلي منطقة شرق الأناضول واعتزل الحياة لفترة من الزمن في مدينة فان ودرّب نفسه علي الرياضة الروحية. وخلال هذه الفترة طاف علي

العشائر المقيمة شرق الأناضول واستمع إلي مشاكلهم وعرض عليهم حلولا لهذه المشاكل. ولقد جُمعت تسجيلاته ومقترحاته لحل هذه المشاكل في مؤلف له بعنوان "مناظرات". (النورسي، 2011، صفحة: 77 – 103) وفي أثناء الفترة ذاتها نزل النورسي ضيفًا علي ولاة العديد من المدن مثل فان وبيتليس وأخذ ينهل من مكتباتهم الثرية وسنحت له الفرصة لمطالعة العديد من الكتب والمراجع الخاصة بالعلوم الدينية والطبيعية علي حد سواء. (النورسي، 2011، صفحة: 58 – 142).

ولقد مهّدت هذه الفترة الإمكانيات الأساسية المتينة من أجل كتابة المؤلفات التي سيؤلفها لاحقًا. وألّف النورسي خلال تلك الفترة العديد من الكتب التي تحتوي علي مضامين علمية بشكل كبير مثل "إشارات الإعجاز" و"محاكمات" و"مناظرات" و"السنوحات" و"المثنوي النوري".

إن تناول النورسي للعديد من المسائل الشائكة الخاصة بالسياسة العالمية ومشاكل العالم الإسلامي وقضايا الوطن، قد لفت انتباه ساسة تلك الفترة إليه ونُفي إلي الغرب لوضعه تحت المراقبة والسيطرة. وحاولت الإدارة السياسية في ذلك الوقت منع حركة الإرشاد التي كان قد بدأها عن طريق المتابعات والمضايقات والمحاكمات والسجون. إلا أنه، علي الرغم من كافة هذه الظروف، أهدى هذا العالم كلياته التي تتألف من ستة آلاف صحيفة.

ولقد عاصر النورسي ثلاثة عصور مختلفة عبّر عنها بقوله (الاتحاد والترقي، المشروطية، الجمهورية)، وتعرض للعديد من المشكلات مع تأسيس الجمهورية وتُوفي في عام 1960 بعد أن عاش حياة مليئة بأحداث النفي والسجن علي مدار فترة طويلة. ويعتبر سعيد النورسي من أهم علماء الإسلام خلال الفترة التي عاشها. وقد لقبّه معاصروه بلقب "بديع الزمان"، وهو يتميز بكونه رجل عمل وحركة إلي جانب كونه رجل علم.

ركّز سعيد النورسي في كلياته – التي تخاطب كافة طبقات المجتمع – علي مبدأ التوحيد وتعليم الإنسان. وقد تناولت أعماله ومؤلفاته سعادة الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة، وهى تعتبر درسًا يقدمه القرآن الكريم إلي إدراك هذا العصر. ولكن مع الأسف، فإن سعيد النورسي ومؤلفاته قد نوقشا وتم تناولهما من ناحية أيدلوجية دومًا وحتى وقت قريب. ولم تخضع كتبه إلي البحث والدراسة العلمية بشكل كبير باستثناء "القراءات المُنقادة" لأتباعه المقربين. بيد أن كليات رسائل النور تعتبر بمثابة خزينة للقيم التي تنتظر البحث والدراسة من وجهة نظر كافة العلوم الاجتماعية.

إن مؤلفات رسائل النور هي من ناحية المضمون عبارة عن تراث ثقافي يشرح أسس الإيمان والعبادة والقيم الأخلاقية والمشاكل التي تواجهها طبقات المجتمع المختلفة بأسلوب سلس ومؤثر. ويعتبر القرآن الكريم والسنة النبوية

الشريفة المرجعين لرسائل النور، إذ استُخدمت الآيات والأحاديث في مواضع عديدة بشكلها الأصلي، كما استُخدمت معانيها ومضامينها في كثير من الأحيان. ولقد استفاد سعيد النورسي في الوقت نفسه من الإلهامات والكشوفات التي تمر من التحولات المعنوية المتعددة كما هو الحال لدي التقاليد الصوفية. كما أظهر النورسي كفاءته واطلاعه علي المصادر عبر الإشارات إلي المدونات الإسلامية، وذلك علي الرغم من أنها لم تكن كثيرة بشكل كبير.

إن سعيد النورسي قد أشار بنفسه إلي أن السنة النبوية هى ثاني أكثر مصادر المعلومات التي اعتمد عليها بشكل أساسي في تأليفه لكتبه بعد القرآن الكريم. بحيث إنه ألّف رسائله بواسطة الفيوضات والإلهامات المعنوية التي استقاها من أحاديث النبي (صلى الله عليه وسلم) وسنته، كما عبّر عن ذلك في غير موضع بقوله "بدرس وتعليم من الرسول الأكرم (صلى الله عليه وسلم)" (سعيد النورسي، 1960، صفحة: 83 – 147).

وفي الوقت الذي أوصي فيه سعيد النورسي بالعيش في رحاب السنة المطهرة من أجل نيل حياة مستقيمة ومستقرة ومطمئنة، فقد راعي بنفسه هذا المبدأ بدرجة كبيرة للغاية. ووفقًا لما يراه النورسي، فإن السنة هى أكثر طرق حياة الفرد والمجتمع سلامة وأمنًا.

ومن جهتنا نري نفعًا في سرد مفهوم مصطلح السنة وإطاره بطريقة مختصرة قبل الخوض في الحديث عن وجهات نظر سعيد النورسي حول هذا الموضوع:

مفهوم السنة ومضمونها

عند النظر إلي معني كلمة السنة من الناحية اللغوية؛ نجد أنها تشير إلى بعض المعاني مثل الطريق المتبع، الحال، التصرف، السلوك، النهج والقانون.

وقد استُخدم مصطلح السنة في القرآن الكريم للإشارة إلي القوانين غير المتغيرة بشكل أكبر (الآية: 55 سورة الكهف، الأية: 33 سورة الأحزاب، الآية: 52 سورة الشوري، الآية: 42 سورة فاطر، الآية: 77 سورة الإسراء، الآية: 26 سورة النساء/ الآية: 38 سورة الأنفال، الآية: 13 سورة الحجر). وأما في الأحاديث النبوية فنري كلمة السنة تشير إلي معاني الطرق المتبعة سواء أكانت خيرًا أو شرًا (البخاري، النكاح 1 – مسلم، النكاح 5 – أبو داوود، التطوع 27 – ابن ماجة، النكاح 1 – الدارمي، سنن، المقدمة، 16).

وكما هو معروف، فإن مصطلح السنة يُستخدم بثلاثة أوجه من الناحية الاصطلاحية، وهي علي النحو التالي:

1 - هى الكلمات والأفعال والتقريرات المنقولة فقط عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ولم يجر تناولها في القرآن الكريم علي وجه الخصوص.
2 - الأشياء المضادة للبدع. (أبو داوود، السنن 5 – ابن ماجة، المقدمة 6). فعلي سبيل المثال، فإن أي شخص يقوم بتصرف متوافق مع فعل النبي (صلى الله عليه وسلم)، فإنه في ذلك الوقت يكون متبعًا للسنة. وفي حالة قيامه بعمل أو تصرف مخالف لما قام به النبي (صلى الله عليه وسلم)؛ فإن ذلك الفعل يعتبر بدعة.
3 - أفعال وتصرفات الصحابة الكرام والخلفاء الراشدين الأربعة. فنري استخدام كلمة السنة في هذا السياق ورد في وصف النبي (صلى الله عليه وسلم) بنفسه كما ورد بالحديث الشريف "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ." (صحيح الترمذي، العلم 16، أبو داوود، السنة 5).

ويعتبر تصنيف السنة النبوية في علم الحديث إلي ثلاثة مجموعات: سنة قولية، سنة فعلية وسنة تقريرية، هو أكثر التصنيفات التي لاقت قبولا واسعًا في العالم الإسلامي.

ففي الوقت الذي يعرف فيه علماء الأصول السنة النبوية بأنها تلك الأقوال والأفعال والتقريرات الصادرة عن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) بخلاف القرآن الكريم، فقد عرّف الفقهاء السنة النبوية بأنها "كل شيء صادر عن النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) بخلاف الفروض والواجبات"، وذلك لأنهم قيموها من حيث دلالتها وارتباطها بالأحكام الشرعية.

ولقد استخدم علماء السلف مصطلح السنة عند الحديث عن ثاني المصادر الأساسية للدين الإسلامي بعد القرآن الكريم عند إثبات حكم شرعي. وأما تعريف السنة وفق ما يراه علماء الكلام فهو كالتالي :"الطريق الوسط بين الإفراط والتفريط". ويُستخدم مصطلح السنة في الغالب للإشارة إلي الفعل المضاد للبدعة. وأما مصطلح "أهل السنة" فهو مصطلح يشمل كافة هذه المعاني بشكل أوسع.

لقد أشار المفسرون والمتصوفون إلي موضوع وظائف السنة ومهامها في الدين أكثر مما أشاروا إلي مفهومها وماهيتها. وفي حين رأي المفسرون أن السنة النبوية تلعب دورًا متمما ومكملا للقرآن الكريم، فإن المتصوفين قد مالوا بشكل أكبر إلي موضوع وظائف السنة في الأفعال.

وكما رأينا سالفًا، فإن التعريفات والتعليقات التي رويت بخصوص مفهوم السنة وإطارها تقدم إلينا اختلافات متعددة بحسب وجهات النظر المتباينة. ومن بين وجهات النظر المتباينة تلك، نذكر وجهة النظر الخاصة بسعيد النورسي أحد أبرز رجال الفكر والعمل في العصر الحديث. ونحن من جانبنا سنقوم خلال هذه المقالة

بمحاولة تفسير المفاهيم التي نسبها سعيد النورسي إلي مصطلح السنة.

مفهوم السنة عند سعيد النورسي

هناك رسائل مستقلة بين مؤلفات سعيد النورسي تتناول النبي محمدًا (صلى الله عليه وسلم) وسنته الشريفة بجوانبها المتعددة.

فعلي سبيل المثال: المكتوب التاسع عشر الذي يحمل اسم **رسالة المعجزات الأحمدية** يبرهن علي نبوة النبي (صلى الله عليه وسلم) وصدقه في إطار شرح معجزاته علي وجه الخصوص.

وأما **الكلمة التاسعة عشرة** – التي تعتبر رسالة أخرى من رسائله – فتتناول الشخصية المعنوية والصفات الأخلاقية الراقية للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) التي يمكن أن نطلق عليها مسمي الهوية المعنوية للرسول (صلى الله عليه وسلم).

وفي **الكلمة الحادية والثلاثين** يشرح النورسي الخصائص الفائقة ولياقته للصعود لرحلة المعراج بشكل مختلف عن سائر الأنبياء الآخرين بأسلوب علمي في إطار حادثة الإسراء والمعراج.

ونحن هنا في هذا المقام سنقوم بتناول رسالة أخرى من رسائله تحمل عنوان "**السنة السنية**" تتحدث عن مفهوم السنة وأهميتها وأقسامها وفوائدها العائدة علي الفرد والمجتمع.

ومما لا شك فيه أن وجهات نظر سعيد النورسي وآراءه حول النبي (صلى الله عليه وسلم) وسنته ليست فقط عبارة عن تلك الآراء الموجودة في هذه الرسائل، بحيث يمكننا أن نصادف تسجيلاته وتقييماته ذات الصلة بهذا الموضوع في غير موضع بكلياته بما في ذلك القسم الخاص بالمكتوبات.

لقد استخدم سعيد النورسي مصطلح السنة في مؤلفاته بشكل عام للتعبير عن هَدْيْ النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)[1] .وإن المعاني التي نسبها لكلمة السنة تعكس وجهة نظر أهل السنة بصفة عامة. ولأنه ليس بعالم حديث، فلم يتطرق – بالطبع – إلي الدخول في التفاصيل الفنية لمصطلح السنة في أعماله ومؤلفاته. إلا أننا عندما نتناول مؤلفاته بالبحث والتدقيق، نري أن النورسي يمتلك ثقافة ثرية من الأحاديث والسنة. ويُفهم بسهولة من اللغة والمصطلحات التي استخدمها بخصوص الموضوع أنه لديه سيطرة كاملة علي ثقافة الحديث ومصطلحاتها. ولقد شوهد استخدامه لكلمتي الحديث / السنة من ناحية اللفظ والمعني في كافة مؤلفاته. (باديللي 1992) فعلي سبيل المثال يمكن أن نري أنه أفرد مكانًا بشكل أو بآخر لمئات الأحاديث المتعلقة بمعجزات النبي (صلى الله عليه وسلم) في المكتوب التاسع عشر الذي أسماه بالمعجزات الأحمدية، كما يمكننا مشاهدة استخدامه للمصطلحات الفنية ومصادر الأحاديث الخاصة بالأصول كلما سنحت الفرصة لذلك. ونحن لا

نريد الخوض في تفاصيل هذا الموضوع، لأنه لا يدخل في إطار حديثنا في هذا المقال. إلا أننا نكتفي في هذا المقام، علي سبيل المثال لا أكثر، بالإشارة إلي بعض المصطلحات الخاصة بعلم الحديث ومصادره، التي أوردها النورسي في فقرة واحدة فقط من فقرات المكتوب التاسع عشر، وكان من بين هذه المصطلحات الخبر المتواتر، الخبر الوحيد، الأحاديث الصحيحة، موضوع الحديث، السند، العنعنة، موثوق، الحجة، نقاد المحدثين، الكتب الستة، البخاري، مسلم، ابن الجوزي. فهذه الإشارة تعتبر هامة للغاية من ناحية أنها تبرهن علي أن سعيد النورسي لديه ثقافة وافرة في علم الحديث. ولكننا سنقوم بتقييم وجهات نظر النورسي حول السنة التي تشكل موضوع بحثنا بشكل أكبر كما ذكرناه آنفًا.

يفرد سعيد النورسي بشكل كبير مكانًا لمفهوم السنة ومضمونها في أعماله ومؤلفاته ويشجع علي اتباعها. وتتضمن رسالة "السنة السنية" آراء النورسي بخصوص السنة بشكل مفصل كما أوضحناه فيما سبق. فهذه الرسالة التي منحها اسم "مرقاة السنة وترياق مرض البدعة" تشكل اللمعة الحادية عشرة من كتاب "اللمعات" بشكل أساسي، وذلك علي الرغم من وجود طبعات مستقلة لها.

وتبدأ النقطة الأولي لهذه الرسالة – التي تتألف من إحدى عشرة نقطة – بحديث "من تمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر مائة شهيد." (البغوي، غير مؤرخ، المجلد الأول، 40) ويؤكد النورسي في هذا الموضوع علي أن اتباع السنة النبوية في زمان فساد الأمة وانتشار البدع والخرافات علي وجه الخصوص له قيمة وأهمية كبيرة للغاية، وأن ذلك يشعر المسلم بتقوى عالية وإيمان قوي متين. ويشرح لنا أن السنة هى أكثر العلاجات والحلول فعّالية وتأثيرًا في مواجهة أمراض البدع. كما أن منح هذه الرسالة اسم "ترياق مرض البدعة" يعتبر ذا مغزى في هذا السياق. وفي النقطة الثانية يسرد النورسي اقتباسًا قاله الإمام الربّاني ويروي أن السنة السنية هى أسطع الطرق وأكثرها وقارًا وأمنًا واتزانًا داخل طبقات الطرق والولايات. وأما في النقطتين الثالثة والرابعة فنجد النورسي يعطى أمثلة من حياته الخاصة ويشرح كيف أن قوانين السنة النبوية الشريفة أوصلته إلي بر الأمان في أحلك ظروفه كالبوصلة التي تهدي السفن في ظلمات البحر، وكيف أنه لم يترك قط حبل السنة المتين لدي مواجهته لكافة الترددات والوسوسات، وأنه كان يتخذ من النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) قدوة حسنة ويهرع إلي حصن السنة السنية عندما كان يفقد الأمل. وأما في النقطة الخامسة، فنراه يوضح أن الإيمان بالله يقتضي اتباع سنة النبي (صلى الله عليه وسلم) انطلاقًا من الآية الكريمة "قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ" (الآية: 31 من سورة آل عمران)، وذلك من خلال تقديم نماذج وأمثلة من الاستنتاجات المنطقية. وفي النقطة السادسة يُفرد النورسي مكانًا للحديث الشريف "كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار."

(البخاري، الاعتصام، 16؛ أبو داوود، السنة، 5؛ مسلم، الجمعة، 43؛ ابن ماجة، المقدمة، 7؛ الدارمي، المقدمة، 16)، وكذلك الآية الكريمة "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ" (الآية: 3 من سورة المائدة). وفي هذا الموضع يجري مقارنة بين السنة والبدعة، فيقول ***إن التوسل إلي البدع بالأشياء الجديدة بعد إدراك كمال الشريعة الغراء والسنة السنية، يعتبر ضلالة في النار.***" وفي النقطة السابعة يشير إلي أن السنة النبوية محض أدب وأن تحت كل قضية ومسألة لابد أن يوجد أدب ونور، وذلك من خلال إيراد الأمثلة لشرح ذلك جيدًا. وأما في النقطة الثامنة فيلفت الانتباه إلي رحمة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ورفعته، ويؤكد علي أن اتباع سنته يكون وسيلة لنيل شفاعته يوم القيامة، وعدم اتباعها يؤدي بالإنسان إلي الحرمان من شفاعته يوم الحساب. وفي النقطة التاسعة يصنف النورسي السنة النبوية إلي ثلاثة أقسام وهى الفرض والواجب والمستحب، ويقول إن اتباع الفرائض والواجبات يعتبر لزامًا لا مفر منه، وأما ترك المستحبات فيعتبر خسارة لثواب كبير وإن كان ليس ذنبًا ولا حرامًا.

يقول النورسي إن اتباع كل أنواع السنة بالفعل يكون ميسرًا فقط علي أخص الخواص، وأما طلبها بنية حسنة – وإن لم يكن فعليًا – فيمكن للجميع القيام بذلك. وفي النقطة العاشرة يشرح النورسي بالتفصيل أن حب الله يقتضي اتباع سنة نبيه (صلى الله عليه وسلم) في إطار العلاقة التي ربط فيها بين محبة الله واتباع سنة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم). ويوضح أن اتباع سنة النبي (صلى الله عليه وسلم) هو أكبر مقصد إيماني وأن محبة الله إنما تتأتَّى من اتباع سنة نبيه (صلى الله عليه وسلم). وأما في النقطة الحادية عشر – التي تعد الجزء الأخير – فيفرد النورسي مكانًا لأخلاق النبي (صلى الله عليه وسلم) الرفيعة. ويقول أن أفعال النبي (صلى الله عليه وسلم) وأحواله وتصرفاته تعتبر مثالا ونموذجًا يُحتذي به من جانب جميع البشر. (النورسي، 1986، صفحة: 47 – 58)

وبعد أن قدمنا محتوى الرسالة موضوع الحديث بشكل موجز، نود أن نعرض نظرة سعيد النورسي تجاه السنة النبوية والمعاني التي نسبها إليها بشيء من التفصيل.

أوضحنا فيما سبق أن سعيد النورسي قد ركّز في أعماله ومؤلفاته بشكل كبير علي مفهوم السنة وأهميتها وأقسامها وانعكاسها علي حياة المسلم وفوائدها ومكاسبها العملية. فكما أنه قبل تعريفات علماء أهل السنة للسنة النبوية كما هي وأظهر اتباعه للسلف الصالح، فإن سعيد النورسي برهن علي أنه قد بدأ حركة إحيائية في هذا الموضوع من خلال التعليقات والتحليلات التي سجلها في هذا الصدد مع الأخذ بعين الاعتبار ظروف العصر الذي عاش فيه. بحيث هدفت حركة التجديد التي قادها إلي إعادة تحليل القرآن الكريم والسنة النبوية وفق مفهوم

العصر.

يُعرّف علماء الحديث السنة النبوية بصفة عامة علي أنها "أقوال النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وأفعاله وتقريراته." (مصطفي السباعي، 1978، صفحة: 47؛ أحمد نعيم، 1987، صفحة: 6 – 7). ويؤيد سعيد النورسي هذا التعريف، فيقول:

تنقسم السنة السنية للرسول الأكرم (صلى الله عليه وسلم) إلي ثلاثة أفرع، أفعاله وأقواله وأحواله. " (النورسي، 1986، صفحة: 56 – 57)

ويقول بعد ذلك مصنفًا للسنة النبوية من حيث الأحكام:

وتنقسم هذه الأقسام الثلاث إلي أجزاء ثلاث، ألا وهي: الفرائض، النوافل والعادات الحسنة. " (النورسي، 1986، صفحة: 56 – 57)

وفي موضع آخر، يستخدم النورسي العبارات التالية عند الحديث عن مكانة السنة النبوية في الإسلام، فيقول:

"إن أقوال النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وأفعاله وأحواله وأطواره وحركاته هى كذلك مصدر للدين والشريعة. كما أنها مآخذ الأحكام." (النورسي، 1994، صفحة: 25)

فالنورسي هنا يوضح لنا بشكل جلي أن كافة الأفعال والأحوال والتصرفات والحركات التي قام بها النبي (صلى الله عليه وسلم) تعتبر مصدرًا أساسيًا من مصادر الدين كما هو الحال بالنسبة لأقواله وأحاديثه. ونصادف هذا الوصف بعبارات مشابهة في أغلب المصادر التي تتناول السنة النبوية. (القاسمي، 1987، صفحة: 62؛ السباعي، 1978، صفحة: 47)

وكما ذكرنا سالفًا، فإن تعريف السنة النبوية لدي العلوم الإسلامية الأساسية المختلفة مثل الفقه والحديث والكلام والتصوف، متقارب علي الرغم من وجود اختلافات بسيطة وغير واضحة. ومن جهة أخرى فإن الأغلبية الساحقة من علماء الحديث يقبلون كافة الأحاديث المعتمدة علي رواية الصحابة وعلي رأسهم الخلفاء الراشدين والتي انتقلت إلينا حتى يومنا هذا بشكل صحيح، يقبلونها بصفتها السنة المنقولة عن النبي (صلى الله عليه وسلم). وسعيد النورسي من جهته اتبع التقليد ذاته في هذا الصدد وأظهر خضوعه وانقياده لعلماء السلف الصالح.

ويقول سعيد النورسي، بينما كان يسجل مصدر السنة النبوية، أن الرسالة تعتمد علي الوحي لافتًا النظر إلي البشرية والنبوية لدي الرسول الأكرم (صلى الله عليه وسلم). ويقسم النورسي الوحى إلي وحى صريح ووحى ضمني. ويري أن القرآن الكريم والأحاديث القدسية تندرج تحت قسم الوحى الصريح، وأما سائر مصادر الأحاديث النبوية الأخرى فتندرج تحت مظلة الوحى الضمنى. ويشير

النورسي إلي أن الإلهام والفراسة النبوية هى مصدر الوحى الضمنى. ويعرّف الفراسة بأنها قوة قدسية علوية في نقطة الرسالة. (النورسي، 1994، صفحة: 87) ويقول في هذا الصدد ما يلي:

"لا يمكن النظر إلي كل تفصيلة من تفاصيل كل حديث وسنة نبوية بنظرة الوحى المحض. كما لا يمكن البحث عن الآثار العلوية للرسالة في الأفكار والمعاملات البشرية. فبعض الأحاديث تأتي إلي النبي (صلى الله عليه وسلم) وحيًا في المجمل العام. وهو من جانبه يقوم بتصورها بفراسته وبصورة التعارف العمومي." (النورسي، 1994، صفحة: 87)

وكما رأينا آنفًا، فإن سعيد النورسي يتبع جمهور العلماء في هذا الموضوع ويفرق بين الجوانب البشرية والنبوية للنبي (صلى الله عليه وسلم) بشكل جلي وصريح. ولهذا السبب، فإن النورسي لا ينظر إلي الأحاديث والسنن، التي تعتبر نتاجًا للجانب البشري للنبي (صلى الله عليه وسلم)، بنظرة الوحى الصريح. فوفق ما يراه، فلا ينبغي البحث دومًا عن القداسة والكمال – التي عبر عنها بقوله "الآثار العلوية للرسالة" – في الأفكار والمعاملات البشرية للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم). إلا أنه في الوقت نفسه يقول إن أقوال النبي (صلى الله عليه وسلم) وأفعاله وتصرفاته تعتمد علي "قوة قدسية" بحيث يجب أن تكون "القوة القدسية" التي يتحدث عنها النورسي هى الإلهامات والعلوم الربانية التي يُطلق عليها اسم الوحى غير المتلو.

ويقول النورسي في هذا الصدد ما يلي:

"يمكن أن يكون كل حال وتصرف قام به النبي الأكرم (صلى الله عليه وسلم) شاهدًا علي صدقه ونبوته. إلا أنه ليس من الضروري أن يكون كل حال وفعل قام به رائعًا ومدهشًا." (النورسي، 1994، صفحة: 86)

ويشجع النورسي، في أول رسالة السنة السنية ذات الصلة بالموضوع، بقوة علي اتباع السنة النبوية. وإن إصراره المفرط في هذا الصدد إنما ينبع من ظروف الفترة التي عاشها. ذلك لأن القيم الدينية كانت قد ضعفت في تلك الفترة، وانتشرت البدع كانتشار النار في الهشيم وابتعد المجتمع الذي عاش فيه النورسي عن الدين لأسباب متعددة وتوجه إلي البدع والخرافات. ولهذه الأسباب، حرص النورسي علي تشجيع إحياء السنة النبوية من جديد وإعادتها لحياة المسلمين والمحافظة عليها وتطبيقها:

فسعيد النورسي يفرد مكانًا في مقدمة الموضوع للحديث الذي نصه ***"من تمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر مائة شهيد."*** (البغوي، غير مؤرخ، المجلد، الأول، 40)، ويطرح وجهة نظره في إحياء السنة في مواجهة البدع ونشرها في كافة مناحي الحياة. وذلك لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) قد أكّد بنفسه علي أهمية

سنته وشجع المسلمين علي اتباعها. ونحن نرغب في سرد بعض الأحاديث الكثيرة التي تتناول هذا الموضوع:

"***تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، كتاب الله وسنتي***" (البخاري، الرقائق، 26؛ مسلم، الفضائل، 15؛ الدرامي، فضائل القرآن، 1؛ الترمذي، المناقب، 77؛ الإمام مالك، الموطأ، القدر،3؛ أحمد بن حنبل، المسند، 17/3)

"***..... فمن أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبي***" (ابن ماجة، المقدمة، 6،10؛ الترمذي، العلم، 16؛ أبو داوود، السنن، 6)

"***من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصي الله***" (البخاري، الجهاد، 108، الأحكام، 1؛ ابن ماجة، الجهاد، 39)

"***خير الأعمال كتاب الله، وخير الطرق طريق محمد (صلى الله عليه وسلم)***" (البخاري، الاعتصام، 2، الأدب، 70)

"***ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه***" (مسلم، الفضائل، 15؛ الترمذي، العلم، 60؛ ابن ماجة، المقدمة، 2؛ أبو داوود، السنن، 6؛ أحمد بن حنبل، المسند، 4 / 130 – 133)

"***.... فمن رَغِبَ عن سنتي فليس مني***" (البخاري، النكاح، 1؛ مسلم، النكاح، 5؛ النسائي، النكاح، 4)

وتؤكد هذه الأحاديث وغيرها من الأحاديث الكثيرة بوضوح علي أهمية السنة النبوية وضرورة اتباعها من أجل السعادة في الدنيا والآخرة. وبناءً علي هذه الأهمية التي تتمتع بها السنة النبوية، فإن سعيد النورسي يريد إحياءها من جديد ونشرها في كافة مناحي الحياة.

ولقد ربط سعيد النورسي بين اتباع كافة آداب السنة النبوية ورعايتها حتى أصغر توجيه فيها وبين التقوى وقوة الإيمان، ويقول إن اتباع هذا النوع من السنن، التي وصفها بـــ"آداب الشريعة"، يحقق الارتباط الفعلي بالنبي (صلى الله عليه وسلم)، مما ينقل الشخص إلي الإحساس بالمشاعر الإلهية (التفكير بالله جل جلاله) وينعم بالطمأنينة الإلهية حتى في أوقاته وأفعاله العادية.

ووفق ما يؤمن به سعيد النورسي، فإن القدسية التي يتمتع بها مصدر السنة تعتبر واحدة من البواعث الهامة المشجعة علي اتباعها واقتفاء أثرها. ذلك لأن كافة التصرفات والأفعال التي يقوم بها النبي (صلى الله عليه وسلم)، الذي هو مخاطب بالوحي ويعيش في ظله، تكتسب قيمة معنوية سامية بجانبها هذا. هذا إضافة إلي أن المتعة والطمأنينة المعنوية التي يمنحها الارتباط بالنبي (صلى الله عليه وسلم) واتباع أوامره والانتهاء عن نواهيه بنية التعبد، يقوم عليها الارتباط به (صلى الله

عليه وسلم) وبالله سبحانه وتعالي، كما أنها ترتقي بالإنسان المؤمن إلي مرتبة الطمأنينة الإلهية عند أدائه لكل سنة من السنن التي وجّه إليها النبي (صلى الله عليه وسلم). وإن الشخص المؤمن يصل إلي درجة الطمأنينة التي نتحدث عنها وفقًا لنسبة اتباعه للسنة النبوية، وحينها يصل إلي حال العبودية. ومن هذا المنطلق، فإن أصغر الأشياء وأكثرها اعتيادية تكسب الشخص الثواب عندما يقوم بها بنية اتباع النبي (صلى الله عليه وسلم). وذلك لأن السنة النبوية المطهرة تذكر الإنسان بالنبي (صلى الله عليه وسلم)، وإتباعه (صلى الله عليه وسلم) يذكر بالله سبحانه وتعالي. وبالتالي تتحول كافة الأقوال والأفعال في الحياة اليومية للإنسان المسلم إلي عبادات يكسب من خلالها الثواب العظيم.

ويضيف النورسي أهمية منفصلة إلي بعد العبادة في السنة النبوية، فيقول "***من يتبع السنة النبوية يحوّل حياته إلي عبادة***"، ويؤصل بتعبير منطقي أن الإنسان يستطيع تحويل كافة أعماله وأفعاله اليومية إلي عبادة بإتباعه سنة النبي (صلى الله عليه وسلم). وفق ما يراه النورسي، فإن الإنسان بإمكانه كسب ثواب العبادة من كافة الأعمال اليومية الاعتيادية كالمأكل والمشرب والنوم والكلام، وذلك من خلال إخلاص النية الحسنة (نية اتباع النبي "محمد صلى الله عليه وسلم").

ومن جهة أخرى: يقول النورسي "***إن الإتباع الكامل والفعلي لكل نوع من أنواع السنة السنية إنما يكون ميسرًا لأخص الخواص. وأما طلب اتباعها بالنية وبالقصد وبالالتزام فيمكن أن يقوم به كل فرد وإن لم يكن فعليًا***" (النورسي، 1986، صفحة: 53)، ويفيد بأن مناصرة السنة واستحضار النية الحسنة لدعمها في الظروف التي لا تسمح بتنفيذها فعليًا علي أرض الواقع، يمكن أن يكون كافيًا بشكل أو بآخر. ويقول إن اتباع الفرائض والواجبات يعتبر لزامًا لا مفر منه، وأما ترك المستحبات فيعتبر خسارة لثواب كبير وإن كان ليس ذنبًا ولا حرامًا. ويري أن الخسران المبين هو النتيجة الحتمية لإنكار السنة أو رفضها، وأما عاقبة تركها فتكون سببًا في الحرمان من الثواب العظيم.

ويفرد النورسي في مؤلفاته مكانًا كبيرًا للسنن التي تتعلق بالآداب أكثر من تلك التي ترتبط بالأحكام الشرعية، ويلفت الانتباه إلي البُعد الأخلاقي للسنة النبوية، فيقول "*إن السنة السنية هى أدب، ولا مشكلة في أن يكون أسفلها نورًا وأدبًا*". ويضيف قوله "***لقد جمع الله سبحانه وتعالي كافة أنواع الأدب في حبيبه المصطفي (صلى الله عليه وسلم)***" (النورسي، 1986، صفحة: 54) انطلاقًا من الحديث الشريف الذي يقول "أدبني ربي فأحسن تأديبي" (العجلونى، 1988، صفحة: 70)، ويضيف أن السنة النبوية لا تحتوى علي أي شيء مخالف للأدب. ويقول في قول آخر له إن الذي يعرض عن السنة النبوية ويدير لها ظهره يُحرم من الأدب. ووفق ما يراه، فإن كل مسألة وقضية تناولتها السنة، بما في ذلك المسائل الصغيرة

والبسيطة، قد بُنيت علي الحكمة والمصلحة. ويقول في هذا الصدد ما يلي:

"***لا يوجد أي قضية أو مسألة في السنة الأحمدية إلا ولها حِكَم عديدة***"

(النورسي، 1986، صفحة: 54)

وبناءً علي وجهة النظر هذه، فإن كل سنة من السنن النبوية تمتلك فائدة ومصلحة تعود في النهاية علي الفرد أو المجتمع بالخير والنفع.

ومما يلفت الانتباه إطلاق سعيد النورسي مسمي آخَرَ مختلفًا علي السنة النبوية واصفًا إياها بـــ "الطريقة المحمدية"[2] ولا بد من أن يكون لهذا التعريف، الذي يعنى هدي النبي (صلى الله عليه وسلم) والذي لم يُستخدم قبل ذلك، مفهوم خاص به. وإن تساوت كلمتا "الطريق والسنة" من الناحية اللغوية، فإننا لا نصادف مصطلح الطريقة الصوفي في مصادر أصول الحديث. ونحن من جانبنا نعتقد أن اختيار النورسي لهذا المصطلح إنما ليكون إشارة إلي التيارات الصوفية بمقتضي الظروف الحياتية للفترة التي عاشها، وكذلك للإيحاء بأن أصوب الطرق وأكثرها أمنًا هو طريق النبي محمد (صلى الله عليه وسلم). ويورد سعيد النورسي في تعليق له يدعم هذه الفكرة أن أكثر الطرق أمنًا وسلامة من بين كافة هذه الطرق هو السنة السنية الشريفة، فيقول:

"***إن أجمل الطرق من بين طرق الولاية هو طريق اتباع السنة السنية***"

(النورسي، 1983، صفحة: 94)

ويري النورسي أن أكبر ورد من أوراد الطرق الصوفية لا يعادل حتى أصغر سنة من سنن النبي (صلى الله عليه وسلم). ويقول في اقتباس أخذه من الإمام الرباني ما يلي:

"***إن القبول الحاصل من اتباع سنة واحدة من السنن لا يأتي من مائة أدب ونافلة خصوصية. وكما أن الفرض مرجح علي ألف سنة، فإن سنة واحدة من السنن السنية مرجحة علي ألف أدب من الآداب الصوفية.***" (النورسي، 1986، صفحة:)

ويحذر سعيد النورسي، بعد عقد هذه المقارنة، الضعفاء من أهل التصوف الذين لا يقومون بأداء السنن النبوية بشكل كامل وصحيح. (النورسي، 1959، صفحة: 381)

ويعرض النورسي اتخاذ أسس ومعايير الكتاب والسنة بالنسبة لجميع مراحل الحياة الصوفية، ويقول في هذا الشأن ما يلي:

إن القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة هى ميزان كافة الأحوال والكشفيات والأذواق والمشاهدات. معاييرها هي القوانين القدسية للقرآن الكريم والسنة النبوية العاطرة."[3] *ووفقا لذلك فإن كان سيطلق مسمي الطريقة علي السنة فستكون كالتالي* ***"الطريقة المحمدية"*** *وإن أوارد هذه الطريقة هى اتباع السنة الشريفة*

وأداء الفرائض وترك الكبائر والمنكرات." (النورسي، 1989، صفحة: 438) حتى إن بعض أهل الصوفية يقولون إنهم كانوا يقعون في بعض الأخطاء قبل الارتقاء إلي مقام الأصفياء، وإنهم بعدوا عن هذه الأخطاء بعد الصعود إلي هذا المقام بإرشاد من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

وكما أن النورسي قد قسّم السنة النبوية إلي أفعال وأقوال وتصرفات منسوبة إلي النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، فإنه يصنفها من حيث الجزاء إلي فرض وواجب ونافلة ومستحب (الآداب المستحسنة). (النورسي، 1986، صفحة: 47 – 57) ووفق لهذا المبدأ، فإن ضرورة اتباع الفرائض والواجبات[4]ثابت بالإجماع والاتفاق. ذلك لأن هذا القسم من الدين هى الأوامر الواجبة واللازم الإيفاء بها. (الآيتان: 156 – 157 من سورة الأعراف؛ الآية: 29 من سورة التوبة؛ الآية: 36 من سورة الأحزاب) هذا بالإضافة إلي أن اتباع سائر السنن الأخرى أيضًا فيه الخير والفائدة مما لا شك فيه.

فعلي سبيل المثال يقول سعيد النورسي بالنسبة للسنن النوافل ما يلي "***إن أهل الإيمان هم المكلفون بالأمور الاستحبابية***." ويقول ما يلي بالنسبة للسنن التي وصفها بالعادات الحسنة أو الآداب النبوية:

"***إن اتباع سنة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) واقتفاء أثر سنته يعتبر أمرًا مستحسنًا من ناحية الحكمة والمصلحة وباعتبار الحياة الفردية والنوعية والاجتماعية. ذلك لأن هناك منفعة حياتية في كل حركة عادية يقوم بها (صلى الله عليه وسلم). وبإتباع تصرفاته وأفعاله (صلى الله عليه وسلم) تتحول العادات إلي عبادات. هذا إضافة إلي أن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وسلم) جمع في نفسه محاسن الأخلاق***[5]وإن القرآن الكريم يشهد علي ذلك." وكما جاء بالآية الكريمة "وإنك لعلي خلق عظيم" (الآية: 4 من سورة القلم)

هناك الكثير من الأحاديث الواردة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تتناول إتباع السنة النبوية الشريفة سواء أكانت من الفرائض والواجبات أو النوافل.[6] فعلي سبيل المثال، يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) في حديث مشهور للغاية ما يلي "*تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، كتاب الله وسنتي*" (الترمذي، المناقب، 77؛ الإمام مالك، الموطأ، القدر،3) ويشجع علي إتباع السنة النبوية في حديث آخر يقول فيه (صلى الله عليه وسلم) "أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد (صلى الله عليه وسلم)" (البخاري، الأدب، 70).

ولقد وقع جالٌ كبيرٌ حول ما إذا كان ذلك الإتباع يكون من ناحية اللفظ والشكل أم من ناحية المعني والروح. ويري سعيد النورسي السنة النبوية بوصفها منظومة قيم وأخلاق أبدية وعالمية، وهو يدعم النظرية التي ترى أن الشكل

والروح يلاحظان مع اللفظ والمعني. ذلك لأن التقيد باللفظ والشكل فقط يضيق مجال عمل السنة وتطورها.

ويقول سعيد النورسي إن الرموز التي تستدعي القيم الدينية مثل الأذان والإقامة وإلقاء السلام والصلاة في جماعة تحمل أهمية أكبر من الفرائض الشخصية وإن كانت من نوع النوافل، بحيث وصفها النورسي بـــ "الشعائر الإسلامية" وأطلق عليها وصف "العبودية العائدة علي المجتمع من نوع الحقوق العامة"، إذ أنها تهم المجتمع بأسره. (النورسي، 1986، صفحة: 51) لأن هذه الشعائر تمثل جميع المسلمين لكونها شعارًا ورمزًا للإسلام. كما أن هجرها ونسيانها يجر أضرارًا للدين الإسلامي.

ويسجل سعيد النورسي وجهة نظر هامة للغاية، فيقول إن المخرج الآمن لكافة المشاكل والمصاعب المادية والمعنوية التي من الممكن أن يلاقيها ابن آدم في حياته الدنيا، يوجد في مبادئ السنة النبوية الشريفة، حيث يقدم السنة النبوية علي أنها نموذجٌ للحياة. ويقول إن المسلمين الذين ينظمون حياتهم وفق مبادئ وقوانين السنة النبوية ويعيشون في كنفها، يحيون حياة طيبة في سلامة وأمان. ويقترح علي الناس اتخاذ السنة النبوية كمرشد وهادٍ لهم وطريق نجاة في أحلك ظروفهم وأكثرها صعوبة وتعقيدًا. ومن اللافت للانتباه أيضًا وصف سعيد النورسي للسنة النبوية بوصف "بوصلة القبلة" في أحد بمؤلفاته. (النورسي، 1986، صفحة: 48) وكما أن أصح جوانب البوصلة وأكثرها متانة هو المؤشر، فإن سعيد النورسي أراد بهذا الوصف التأكيد علي أن السنة النبوية الصحيحة تعتبر بمثابة مرشد دال علي أكثر الطرق استقرارًا واستقامة.هذا بالإضافة إلي أن أوسع مصطلح يصلح لهذا الوصف في الثقافة الإسلامية هو مصطلح الصراط المستقيم. ويدعم النورسي فكرة أن هَدْى النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) هو أكثر الطرق استقرارًا واستقامة سواء من ناحية المعتقدات والعبادات أو من حيث الحياة الاجتماعية. وهو يدعم ذلك بأمثلة ونماذج عاشها بنفسه في حياته الداخلية الخاصة. ويقول إنه وجد طريق النجاة والخلاص في أحلك ظروفه ومشكلاته لدى السنة النبوية المطهرة.

ويسعنا إيراد هذه العبارات عن سعيد النورسي التي تتعلق بهذا الموضوع:

"**يا صديقي ! بينما كنت أمشى في طريقي وحولي ظلمات الوساوس والأوهام، رأيت أن سنن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وسلم) كل واحدة منها تقوم بأداء مهام النجوم والمصابيح. فكانت كل سنة من سنن الحبيب المصطفي (صلى الله عليه وسلم) أو الأحكام والحدود الشرعية تضيء كالشمس في طرقات الضلالة المظلمة. وإن انحرف الإنسان في هذه الطرقات وأعرض بجانبه عن السنة النبوية الشريفة مثقال ذرة؛ فإنه يكون مرتعًا للشياطين ومركبًا للأوهام ومعرضًا للأهوال والمخاوف ومطيةً للأحمال والأثقال التي تفوق الجبال.**"

(النورسي، 1994، صفحة: 68)

ونضيف في هذا الصدد ما يلي: يورد النورسي بعض الأقوال عند تفسير الآية التي تقول "وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا" (الآية: 103 من سورة آل عمران)، والحديث النبوي الشريف "تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، كتاب الله وسنتي" (الترمذي، المناقب، 32؛ الإمام مالك، الموطأ، القدر،3)، فيقول النورسي:

" لقد رأيت هذه السنن النبوية وكأنها خيوطٌ تتدلي وتنزل من السماء. من يتمسك بها ولا يتنازل عنها، يعلو قدره وينال السعادة في الدارين. وأما من يُعرض عنها ويعتمد علي عقله وهواه، فيتحول إلي فرعون مماثل لفرعون مصر الذي أراد بحماقة منه الصعود إلي السماء من خلال برج عالٍ." (النورسي، 1994، صفحة: 68 – 67)

ويروي سعيد النورسي أن طريق النجاة من الارتباكات والتخبطات الفكرية لابد أن يخضع لاتباع القوانين والدساتير ذات الصلة بالسنة النبوية الشريفة، إذ يشرح النورسي هذه الحالة بنماذج وأمثلة من حياته الشخصية ويشبهها بـــ ***"البوصلة التي تظهر القبلة وخط الحركة وطريقها علي متن السفن في البحار"*** (النورسي، 1986، صفحة: 48)

إن السنة النبوية الشريفة، التي امتلكت مفهومًا خاصًا ومميزًا للإسلام علي مر العصور التاريخية، تقابل أسلوب الحياة الإسلامية بشكل عام في فلسفة سعيد النورسي. وأما بالمعني الخاص، فإن السنة النبوية تشتمل علي كافة الأشياء الخاصة بالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وعلي رأسها التطبيقات العملية. ذلك لأن الدين الإسلامي قد أخذ قاعدته الأساسية من القرآن الكريم، الذي يعتبر وحيًا إلهيًا، وأقوال الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأفعاله وتقريراته التي تعتبر بمثابة شرحٍ عمليٍ وتطبيقٍ فعليٍ لما ورد بالقرآن الكريم. فكما أن تبليغ القرآن الكريم وتبيانه وكذلك بعض الموضوعات العامة والخاصة قد تشكلت وتبلورت في السنة النبوية، فإن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وسلم) قد مُنح سلطة إصدار الأوامر والأحكام التي ترتبط بالمحللات والمحرمات والفرائض والواجبات وغير ذلك من الموضوعات بخلاف القرآن الكريم. (الآية: 7 من سورة الحشر؛ الآية: 156 من سورة الأعراف؛ الآية: 32 من سورة آل عمران؛ الآية: 80 من سورة النساء) [7]

وعلي الرغم من أن سعيد النورسي قد قام بهذا التصنيف ذاته، فإنه يقول إن النبي محمدًا (صلى الله عليه وسلم) يمتلك وجهة نظر ورؤية شمولية تشمل الحياة الدنيوية والأخروية، وذلك من خلال وجهة نظر أوسع وأكثر اشتمالا. (النورسي، 1989، صفحة: 236 – 240) فإلي جانب مكانة السنة النبوية في تبليغ القرآن الكريم وتبيانه ووضعها غير المتنازع عليه في تشكيل التشريع الإسلامي،

فلا يكون من المبالغ فيه أن نقول إن الثقافة والحضارة الإسلامية تعتمدان في المقام الأول علي القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة وتنهلان منهما وتتطوران بفضلهما.

إن الأمثلة المنيرة والأدلة المؤثرة والحكم العميقة والكلمات المقتبسة والنصائح المؤثرة والأمثلة المعبرة والقصص المعلمة والأوامر والنواهي المتنوعة وموضوعات الترغيب والترهيب التي تحتويها السنة النبوية المشرفة، وكذلك توافقها مع الفطرة البشرية وسهولتها واعتدالها، يبرهن علي اتساعها وأهميتها وقيمتها. ومن هذا المنطلق، يصف سعيد النورسي النبي (صلى الله عليه وسلم) بوصف "المرشد الأكمل" و"شمس الهداية" و"رمز الرحمة"، كما يصف السنة النبوية الشريفة بـــ" النموذج الحياتي للنوع البشري" (النورسي، 1986، صفحة: 57)

ومن هذه الملاحظات نجد سعيد النورسي يقف كثيرًا علي هذا الجزء من السنة النبوية الذي وصفه بـــ "الآداب النبوية" و"الآداب الشرعية" (النورسي، 1986، صفحة: 52)، ويرغب النورسي في استمرار هذه السنن مع معايشتها. وذلك لأن النورسي يدافع عن وجهة النظر التي تري السعادة في الدنيا والآخرة إنما تتحقق باتباع السنة النبوية الشريفة. بحيث يقول النورسي إن قوانين السنة السنية هى بمثابة علاج في مواجهة الأمراض الروحية والعقلية والقلبية والمشاكل الاجتماعية علي وجه الخصوص. (النورسي، 1986، صفحة: 48)

ويقول سعيد النورسي في موضع آخر: "إن السنة السنية هى الدواء والعلاج لجروح المؤمن المعنوية." (النورسي، 1986، صفحة: 79)

وترجع وجهة نظره هذه إلي الآية الكريمة التي تقول "لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ" (الآية: 128 من سورة التوبة)

ويقول سعيد النورسي، تعليقًا علي هذه الآية الكريم، إن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وسلم) يداوي الجروح المعنوية لأمته بكمال الشفقة والرحمة بفضل سنته الشريفة والأحكام التي جاء بها (صلى الله عليه وسلم)، ويري إن ترك السنة النبوية يعتبر بمثابة إنكار شفقة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ورحمته. (النورسي، 1986، صفحة: 52 – 53) ويصف النورسي السنة النبوية بـــ "حجر الأساس لسعادة الدارين ومنبع ومعدن الكمالات كافة"، ويقول إن شعاعات السنة تحتوى علي إكسير روحي معنوي. (النورسي، 1986، صفحة: 53 – 54)

ويؤسس سعيد النورسي للعلاقة بين محبة الله والسنة النبوية ويربطها بآية قرآنية تفيد بأن حب الله ونيل رضاه سبحانه وتعالي إنما يتأتى باتباع سنة النبي

محمد (صلى الله عليه وسلم)، وهذه الآية هي "قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ" (الآية: 31 من سورة آل عمران).

ويقول النورسي تعليقًا علي هذه الآية "إن الرضاء الإلهي يتضح ويظهر في الذات المحمدية" (سعيد النورسي، 1986، صفحة: 50 – 51)، ويفيد بأن محاولة التشبه به (صلى الله عليه وسلم) في أفعاله تتضح بأمرين، أول هذين الأمرين هو طاعة أوامره والتحرك في محيط رضاه (صلى الله عليه وسلم)، وأما ثانيهما فيتلخص في المحاولة بالتشبه به (صلى الله عليه وسلم). (سعيد النورسي، 1986، صفحة: 50 – 51)

وعند النظر من هذا المنظور، سنري أن السنة النبوية – التي تعتبر فلسفة حياتية أو أسلوب حياة – تطوّق عالم كافة الموجودات الموضوعية والذاتية من حيث المضمون، بحيث يصف سعيد النورسي للناس السنة النبوية بجانبها هذا بقوله "أفضل النماذج وأقوي التوجيهات وأحكم القوانين" (النورسي، 1986، صفحة: 56 – 57)

ذلك لأنه يمكننا بسهولة مصادفة كلمة أو فعل نموذجي للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في كافة مناحي الحياة سواء أكانت الحياة الفردية أو المجتمعية أو حتى العالمية.

فلقد اتخذت كافة قواعد المعتقدات والعبادات والأخلاق والحياة الاجتماعية مكانًا لها داخل ظاهرة السنة النبوية بكافة تفاصيلها الدقيقة. حيث ترك النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) إلي أمته الإسلامية ميراثًا يُقتدي به في كافة هذه الموضوعات من خلال الرسالة التي أخذها من القرن الكريم بصورة قولية وفعلية ومسئولية الرسالة الأبدية التي أخذها علي عاتقه.

ويمكننا أيضًا مصادفة أثر السنة النبوية المشرفة في كافة مجالات الحياة ومناحيها، من الصحة إلي التعليم، ومن العدل إلي الأمن، ومن الحياة الاجتماعية إلي السياسة، ومن المساواة إلي سيادة القانون، ومن سير أعمال الدولة إلي الحياة الفردية.

إن التركيز الخاص للشخص المسلم مع الله سبحانه وتعالي، وأيضًا أكثر أعماله الحياتية العادية اليومية تجد لها قالبًا مناسبًا في السنة النبوية الشريفة. (نجم الدين شَكَرْ، 2011)

إن السنة النبوية تتناول الحياة والإنسان ككل بصفة عامة كما هو الحال بالنسبة للقرآن الكريم، وهي لا تُخضع الإنسان للتقسيم إلي روح وجسد وحواس، بالضبط كما لا تفصل الدين عن الدنيا أو الدنيا عن الآخرة. وهى لا تهمل المجتمع بينما تهتم بالفرد. وباختصار، فالسنة النبوية الشريفة تتمتع بطبيعة متوازنة وشاملة. وحريٌ بنا أن نسرد هنا في هذا المقام كلمة لسعيد النورسي تدور حول كون السنة

النبوية عنصرًا متوازنًا بعيدًا عن الإفراط والتفريط وأنها هى الطريق الوسط المعتدل:

"***لقد اختار النبي (صلى الله عليه وسلم) حد الاستقامة في سنته السنية وأحواله الفطرية والأحكام الشرعية، وتجنب الإفراط والتفريط والإسراف والتبذير الذي يعتبر من الظلم والظلمات.***" (النورسي، 1986، صفحة: 58)

لقد وصف المحدّثون الأوائل السنة النبوية الشريفة بأنها ذات الدين بأكثر المفاهيم شمولية. وأما الدين بالنسبة لسعيد النورسي فهو الحياة أصلها. يقول النورسي في هذا الشأن ما يلي:

"***إن الدين هو حياة الحياة ونورها وأساسها، فبإحياء الدين تَحْيَى هذه الأمة.***" ومن هذا المنطلق، فإن السنة النبوية تشكل ثقافة نبوية بصفتها نموذجًا حياتيًا عالميًا. فالدين الذي جاء به رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) وأسلوب الحياة الذي قدّمه يعتبر بمثابة أسلوب حياة ورؤية عالمية تخاطب عقل الإنسانية جمعاء. كما أنه مما لا شك فيه أن هناك حقيقة مفادها أن الرسالة التي جاء بها الرسول الأكرم (صلى الله عليه وسلم) تشمل كل زمان ومكان وإنسان من الناحية الوظيفية والعملية. وبناءً علي هذه الأهمية التي تتمتع بها السنة، فإن سعيد النورسي يَعتبر اتباع السنة النبوية الشريفة وإحياءها من أهم الغايات التي تطلع لتحقيقها في حياته. (النورسي، 1986، صفحة: 54 – 55)، وبناءً علي أهمية السنة النبوية التي أفردها هنا، يقول النورسي إن أساس مهمته هو "أداء الفرائض، واجتناب النواهي، والامتثال للسنة النبوية" (النورسي ....)

ووفقًا لما يراه سعيد النورسي، فإن السنة النبوية ليست فقط عبارة بعض الآداب النبوية مثل ارتداء العمامة وإطلاق اللحية واستخدام السواك وارتداء الخواتم الفضية والألبسة البيضاء والاكتحال والتعطر بالروائح الزكية. بحيث أن رواج هذه السنن النبوية بشكل أكبر إنما هو راجع إلي بعض المقاصد مثل هيئتها الشكلية واحترام النبي (صلى الله عليه وسلم) واتخاذه قدوة يُحتذى به وتقليده. ومن ناحية أخرى، فإن بعض السنن النبوية المتعلقة بموضوعات تحمل أهمية حياتية مثل القانون والعدل والمساواة وحقوق الإنسان والتعليم والصحة، لا تظهر بشكل كبير في الحياة اليومية مقارنة بالسنن النبوية المتعلقة بالآداب. بيد أن الناس في عالمنا اليوم في أمس الحاجة إلي معطيات السنة النبوية ذات الصلة بهذه القيم السامية. ولهذا السبب، فإن سعيد النورسي يهتم بشكل أكبر بالسنن النبوية المتعلقة بهذا النوع من الموضوعات ويحاول إبرازها في المقام الأول علي ساحة حياة المسلمين. ذلك لأنه من الضرورة بمكان أن يتم نقل مبادئ النبي (صلى الله عليه وسلم) وأفكاره الخاصة بهذه الموضوعات إلي الناس اليوم كما هي من دون تغيير أو تبديل

والمحافظة عليها بصفة ديناميكية حيّة.

الخاتمة

لقد خرج إلي عالمنا العديد من الأفكار مع مرور الزمن حول السنة النبوية الشريفة تحوى رسائل عالمية كونية أكثر من كونها تتميز بصفة تاريخية، كما تم تطوير العديد من المفاهيم المختلفة في هذا الصدد. إلا أنه من السهولة بمكان أن نري أن كافة العلماء المسلمين الذين يتبعون منهج أهل السنة والجماعة يتفقون علي رأي واحد بالنسبة لتعريف السنة النبوية ومضمونها، وذلك بالطبع باستثناء التفاصيل المتعلقة بها. ويعتبر سعيد النورسي واحدًا من هؤلاء العلماء المسلمين، بل يعتبر واحدًا من أهم علماء العصر الحديث. ووفق ما يراه سعيد النورسي، فإن السنة النبوية بمفهومها العام هى عبارة عن المبادئ ذات الصلة بالأقوال والأفعال التي انتقلت إلينا من حياة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم). وليس من الصواب أن ننتظر أن يتناول النورسي، وهو مُبلّغ ومفكر ورجل عمل، موضوع السنة النبوية بجانبها الفني كما هو الحال بالنسبة لعلماء الحديث. ذلك لأنه اهتم بشكل أكبر بمعني السنة النبوية ومضمونها بحكم مهمته التي يسعى لتحقيقها. إلا أنه وبالرغم من ذلك، يمكن إدراك تمكنه من علوم الحديث ومصادره بسهولة عند فحص أعمال وتدقيق مؤلفاته. ولا يمكن نكران تأثير الكثير من الأحاديث التي انتقلت إلينا عن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) حول أهمية اتباع سنته عليه. وانطلاقًا من هذه الملاحظات، فقد وقف النورسي علي أهمية السنة وسعي لإبراز مكاسبها المادية والمعنوية التي تمنحها سواء للفرد أو المجتمع، وبذل مجهودًا جبّارًا من أجل إحيائها من جديد في حياة المسلمين في العصر الحديث. وبينما يقسم سعيد النورسي السنة النبوية إلي ثلاثة أقسام وهى سنة قولية وسنة فعلية وسنة تقريرية من خلال جانب نسبتها إلي النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، فهو قد قسمها من حيث أحكامها الدينية إلي ثلاثة أقسام أيضًا وهى الفرائض والواجبات والنوافل. ولقد صرّح سعيد النورسي بأن السنة النبوية هى دواء لكل داء وحل لكل مشكلة، مشبهًا إياها بالبوصلة التي يهتدي بها الناس إلي اتجاه القبلة. كما أفاد بأن كل إنسان يحتاج إلي السنن النبوية في كل يوم وكل مرحلة من مراحل حياته، وأن كل قضية من قضايا السنة النبوية تحتوي علي مئات الحكم والفوائد، بل إن أصغر السنن النبوية تجلب للإنسان مكاسب مادية ومعنوية، وإن اتباع السنن التقليدية يمكن أن يكسب الفرد المسلم ثواب العبادة مع استحضار النية الحسنة. وأورد النورسي إن من ينكر السنة فقد ضلّ ضلالا بعيدًا، وأن من أعرض ورغِب عنها فقد خسر خسرًا مبينًا.

المراجع

- إسماعيل بن محمد العجلوني، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث علي ألسنة الناس، بيروت 1988.
- أحمد بن حنبل، المسند، دار جاغري للنشر، اسطنبول 1992.
- أحمد نعيم، مختصر صحيح البخاري "التجريد الصريح"، المجلد الأول – الثامن، منشورات رئاسة الشؤون الدينية التركية، أنقرة 1987.
- علاء الدين علي المتقي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، غير مؤرخ.
- عبد القادر بادللي، المصادر القدسية لرسائل النور، منشورات أنوار، اسطنبول 1992.
- حسين بن محمد البغوي الشافعي، مصابيح السنة، المجلدين الأول والثاني، بيروت، غير مؤرخ.
- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، دار جاغري للنشر، اسطنبول 1992.
- عبد الله بن عبد الرحمن التميمي الدارامي، سنن الدارامي، دار جاغري للنشر، اسطنبول 1992.
- سنن أبي داود، دار جاغري للنشر، اسطنبول 1992.
- سنن ابن ماجة، دار جاغري للنشر، اسطنبول 1992.
- ابن صلاح، علوم الحديث، دار الفكر للنشر، دمشق 1986.
- جمال الدين القاسمي، قواعد التحديث، بيروت 1987.
- مالك بن أنس، الموطأ، دار جاغري للنشر، اسطنبول 1992.
- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، الجامع الصحيح، دار جاغري للنشر، اسطنبول 1992.
- أحمد بن شعيب النسائي، سنن النسائي، دار جاغري للنشر، اسطنبول 1992.
- سعيد النورسي، ملحق بارلا، إسطنبول 1983.
- سعيد النورسي، ملحق أمير داغ، اسطنبول 1959.
- سعيد النورسي، اللمعات، اسطنبول 1986.
- سعيد النورسي، المكتوبات، اسطنبول 1994.
- سعيد النورسي، المثنوي، اسطنبول 1994.
- سعيد النورسي، المناظرات، اسطنبول، 1989.
- سعيد النورسي، الكلمات، اسطنبول 1989.
- سعيد النورسي، سيرة ذاتية للنورسي، دار نشر شاهدامار، اسطنبول 2011.

- مصطفي السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، المكتبة الإسلامية، دمشق 1978.
- نجم الدين شكَرْ، مفهوم السنة في الثقافة الإسلامية وسياق التغيير، مجلة اكيف الأكاديمية، 47 ، 175 – 194، أرض روم 2011.
- أبو عيسي محمد بن عيسي الترمذي، السنن، دار جاغري للنشر، اسطنبول 1992.
- ولي الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، غير مؤرخ.

الهوامش

1. إن أفكار سعيد النورسي حول الأنبياء بصفة عامة ونبي الإسلام محمد (صلى الله عليه وسلم) بصفة خاصة تعتبر موضوعًا واسعًا ومتأصلا لدرجة أنه يمكن أن يكون موضوعًا لمقال مستقل. فنري النورسي يشرح في العديد من مؤلفاته، وعلي رأسها رسالتا الكلمة التاسعة عشر والمكتوب التاسع عشر، الهوية والشخصية المعنوية لنبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) وموضوعات صدق نبوته بأسلوب وطريقة خاصة به. وللحصول علي معلومات مفصلة حول هذا الموضوع، يمكنكم الإطلاع علي أعمال النورسي التي تحمل اسم الكلمات والمكتوبات.
2. إن هذا الوصف إنما هو في الأساس مقتبس من حديث نبوي. ذلك لأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) يقول "أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد (صلى الله عليه وسلم)" (راجع البخاري، الأدب، 70).
3. يقول سعيد النورسي إن الأوراد الصوفية (الأذكار والتسابيح وما إلي ذلك) المأخوذة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لا يعتبرها جانب من العلماء بدعة، وأما من يعتبرها بدعة من العلماء فيوافق عليها بصفتها بدعة حسنة. راجع: سعيد النورسي، اللمعات.
4. لقد تم تصنيف أفعال العبد المسلم في الفقه الإسلامي إلي فرائض وواجبات وسنن وما إلي ذلك. فهذا التصنيف متعلق بثبوت النص الذي يعتمد عليه الحكم ودلالة معناه. ولقد جري استخدام مصطلحي الفرض والواجب، اللذين استخدمهما سعيد النورسي عند تعريفه للسنة النبوية، كذلك بالنسبة للموضوعات المحددة كأحكام وجب الإيفاء بها بأمر من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بخلاف القرآن الكريم. ومثال ذلك فرائض وواجبات الصلاة والصيام والحج التي لم ترد بالقرآن الكريم ووردت بالسنة النبوية المطهرة.
5. يقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في حيث نبوي شريف يتعلق بهذا الموضوع ما يلي "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" راجع: مشكاة المصابيح، 3 / 129؛ كنز الأمة، 6 / 16.
6. يورد عبد القادر بادللي في كتابه المسمي "المصادر المقدسة لرسائل النور" أن عدد الروايات المستخدمة في كليات رسائل النور يبلغ 1060 رواية. إلا أن جزءًا من هذه الروايات التي أفرد لها مكانًا هنا لا توجد في مصادر الأحاديث الأساسية كما يقول هو بنفسه. كما أن قسمًا كبيرًا منها منقول من مصادر غير الكتب الستة. راجع: عبد القادر باللي، المصادر المقدسة لرسائل النور، دار أنوار للنشر، اسطنبول 1992.
7. يمكن تصنيف مكانة النبي (صلى الله عليه وسلم) من حيث المهام والصلاحيات والمسئوليات والتصرفات علي النحو التالي: وضع الأحكام، إصدار الفتاوي، مهمة الحاكم، السلطة السياسية، التوجيه والإرشاد، الإصلاح بين الناس، نصح السائل، النصيحة، توجيه القلوب إلي أفضل الطرق، تعليم الحقائق السامية، التربية والتعليم. وانطلاقًا من مجالات الصلاحيات والمسئوليات الواسعة للغاية المملوكة للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، يمكن أن نقول إن السنة النبوية تمتلك مضمونًا واسعًا وشاملا.